

وما سواها (248)



sadigalsamarrai@gmail.com

على هامش التغيير !! (1)

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

التغيير ديدن الوجود الفاعل في الموجودات ، وسلطان إرادة الدوران على المخلوقات ، وكلما تبدل الليل والنهار تغير التراب وما فوقه.

وتلك حتمية لازمة يرتهن بها كل ملتصق بالتراب ، ومن لا يطيق التحرر من جذبه التوق .  
فالتغيير يصيب الأفراد والمجتمعات ، ويأتي بما تتطلبه مسيرة الحياة من المستجدات اللازمة لديمومتها وإرتقائها الفتان .

والذي لا يتغير لا يستطيع الثبات أو البقاء وإرساء دعائم أي بنيان .  
وهذه بعض التوصلات مع مفهوم التغيير من زوايا متنوعة وبمراحله التي مرت وتمر ، تهدف إلى تشريحه نفسياً وسلوكياً ، والتعبير عنه كمفهوم عملي يستوجب التبصر والحدس .

أولاً: التغيير وما تغير !!

التغيير الحقيقي طاقة داخلية متأججة متنامية متواصلة ومتوجهة نحو أهداف ترعاها المجتمعات في مكان وجودها الوطني والقومي والإنساني .

ولا يمكن لهذه الطاقة أن تكون خارجية إذا أرادت أن تحقق إنجازات حضارية تاريخية بناءة ومثاقفة ، لأن طاقة التغيير الخارجية تكون سلبية وتؤدي إلى الدمار والخراب والإستلاب والإستحواذ على الطاقات لتنمية وجودها وتأمين مصالحها .

فالطاقة الخارجية لا يمكنها أن تكون بناءة وفاعلة في صناعة الحياة المتفككة وتطلعات المجتمع المستهدف ، وتكون محكومة بزمن وبمصالح ذات أعمار قد تتوالد أو تموت في مهدها ، ومن أهم عوامل إحضانها هو الخراب والدمار وعناصره المسخرة لخدمتها .

وتكون ضاغطة وحابسة ومكبلة للمجتمع بالقيود والإلتزامات الصعبة الثقيلة المكلفة ، والمفضية إلى الضياع والخسران والتشرذم والضعف .

أما الطاقة الداخلية فهي القوة الحقيقية النابعة من أعماق الذات الفردية والجماعية ، وتميل إلى التوسع والتحرر والتنامي الخلاق ، وتكون وطنية إنسانية وذات قدرة على التواصل والتفاعل السريع والجاد من أجل الوصول إلى حالة التغيير الإيجابي اللازم للحياة الأفضل .

وطاقة التغيير الخارجية لا يمكنها أن تؤثر في المجتمع لفترة طويلة عندما تتحرك طاقات المجتمع الداخلية وتعبّر عن دورها وحركتها في ميادين الحياة .

ومن أمثلة إرادة الطاقة الخارجية الهادفة للتغيير ما حصل في فيتنام ، حيث لم تتمكن أكبر قوة من إنجاز إرادة التغيير المطلوبة ، لأن الشعب الفيتنامي قد إستحضر طاقاته الداخلية وقرر أن يكون ويتحدى

التغيير ديدن الوجود الفاعل في الموجودات ، وسلطان إرادة الدوران على المخلوقات ، وكلما تبدل الليل والنهار تغير التراب وما فوقه .

والذي لا يتغير لا يستطيع الثبات أو البقاء وإرساء دعائم أي بنيان .

التغيير الحقيقي طاقة داخلية متأججة متنامية متواصلة ومتوجهة نحو أهداف ترعاها المجتمعات في مكان وجودها الوطني والقومي والإنساني .

فالطاقة الخارجية لا يمكنها أن تكون بناءة وفاعلة في صناعة الحياة المتفككة وتطلعات المجتمع المستهدف ، وتكون محكومة بزمن وبمصالح ذات أعمار قد تتوالد أو تموت في مهدها

من أمثلة إرادة الطاقة الخارجية الهادفة للتغيير ما حصل في فيتنام ، حيث لم تتمكن أكبر

## قوة من إنجاز إرادة التغيير المطلوبة

الشعب الصيني تمكن من التغيير الكبير بإستحضار طاقاته الداخلية وتوظيفها لبناء الحاضر والمستقبل، فكان له ما أراد وتسيّد على الأرض إقتصاديا.

أما العرب فإنهم أمضوا القرن العشرين عرضة لطاقات القوى الأخرى وإراداتها في التغيير، وطاقاتهم كامنة ومكبلة وغير فاعلة في رسم معالم المسيرة فاعلة في رسم معالم المسيرة

سيكون الأمل منتصرا واليأس منهزما والتفائل قائما ومبتسما رغم ما سيرافق التغيير من تضحيات وخسائر كبيرة.

قالأحياء يتغيرون وتتجدد أفكارهم ويتواصلون ويرسمون لوحة الوجود المتدفقة مع المستجدات المتلائمة مع عصرها.

فما داممت الأرض تتحرك ولا تتعب من الدوران والتجدد، فإن الصيرورات القائمة فيها وعلى ظهرها تتفاعل بذات الأسلوب الذي تضخه فيها طاقة الأرض الدوّارة المتقلبة تحت موقد الشمس الوهاجة.

فظفرت إرادته وتغير وفقا لما فيه من الطاقات.

والشعب الصيني تمكن من التغيير الكبير بإستحضار طاقاته الداخلية وتوظيفها لبناء الحاضر والمستقبل، فكان له ما أراد وتسيّد على الأرض إقتصاديا.

وكذلك اليابان، فبرغم هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، لكن طاقاتها الداخلية قد أسست لوجودها القوي المؤثر في المسيرة البشرية.

أما العرب فإنهم أمضوا القرن العشرين عرضة لطاقات القوى الأخرى وإراداتها في التغيير، وطاقاتهم كامنة ومكبلة وغير فاعلة في رسم معالم المسيرة ، وإنما إستمرأت العناء والشقاء والقهر واستلطفت اليأس والإحباط ، لكنها صمدت وتراكت حتى إنفجرت في تونس ومصر وباقي الدول العربية ، مما يشير إلى أن العرب قد أيقنوا بأن التغيير الحقيقي هو طاقة داخلية ولا يمكنه أن يكون طاقة قوة خارجية مهما تعاضمت وتمكنت.

وهذا يعني أن التغيير العربي الحقيقي قد إنطلق في بدايات العقد الثاني من القرن الجديد. ولا يمكننا أن نغفل بعض الدول العربية التي جاهدت سابقا من أجل إستنهاض الطاقات الجماهيرية وقدمت إنجازا ذات قيمة حضارية مهمة.

وعليه فإن المجتمع العربي قد دخل في مسيرة التغيير الأصيل وهو يعيش أجواء تغيرات حقيقية تسعى نحو إنجازات متفقة والطاقة المتدفقة من أعماق الإنسان والمعتقة فيه على مر الأجيال، ولهذا فإنها ستكون متميزة وذات تأثيرات سريعة ومدوية في أرجاء التاريخ.

وسيكون الأمل منتصرا واليأس منهزما والتفائل قائما ومبتسما رغم ما سيرافق التغيير من تضحيات وخسائر كبيرة.

### ثانيا:التغيير والتأخير!!

التغيير نداء صاحب متواصل لا يعرف الهدوء والتباطؤ والسكون ، يتحرك في أروقة الحياة الجارية في عروق المجتمعات المتقدمة والقائدة لمسيرة التطوع البشري المطلق ، فهي تجهل الثبات، بل ألغته من مفرداتها ومعاجمها، وراحت تبتكر مفردات تعكس طبيعة الحياة المتدفقة بالحوية والنماء. قالأحياء يتغيرون وتتجدد أفكارهم ويتواصلون ويرسمون لوحة الوجود المتدفقة مع المستجدات المتلائمة مع عصرها.

والحياة في المجتمعات المتقدمة تتغير وتمضي متسارعة في دروب الإرتقاء والتسابق الإبداعي الفياض ، ففيها التغيير طاقة مؤثرة في صناعة الأيام وتقرير إتجاهات بوصلة الإبحار الخلاق. فهي تيار يجري لايركن للسكون ، فما دامت الأرض تتحرك ولا تتعب من الدوران والتجدد، فإن الصيرورات القائمة فيها وعلى ظهرها تتفاعل بذات الأسلوب الذي تضخه فيها طاقة الأرض الدوّارة المتقلبة تحت موقد الشمس الوهاجة.

فالعالم المتقدم يدين بعقيدة التغيير، والعالم المتأخر يدين بعقيدة السكون، وإنعدام الشعور بالزمن والحركة ، ولهذا أمضت المجتمعات المتأخرة عقودا وكأنها مغيبّة أو نائمة ومدحورة في زوايا النسيان. كما أصابتها حالة غريبة يمكن مقارنتها بأحوال المومياءات القابعة في المتاحف المصرية والعالمية ، وهذه الظاهرة "الموميائية" قد أسهمت بتحقيق الإنقطاع الحضاري الأليم الذي عصفت بالمتأخرين عن ركب الحياة المعاصرة.

وقد يتعجب المرء القادم من المجتمعات المتأخرة ، عندما يجد نفسه في المجتمعات المتقدمة ، ويدرك إرادة التغيير الفاعلة فيها ، وكيف أن كل شئ تحت أضواء المراجعة والتبدل الناجم من نتائج تفاعله مع المواقف والحاجات القائمة.

فالقوانين تتبدل، والضوابط والقواعد، ومناهج الدراسة والمعايير والشوارع والبنىات والحدائق والساحات، والسيارات والأشياء بأنواعها، وكذلك الحاجات والمتطلبات، والمصانع والشركات، والمفردات والفنون والأغاني والتطلعات.

كل شيء يتغير، وإن لم يتغير فإنه يفرض ويغادر الزمن، ويسكن رفوف الذكريات ويصبح في عالم كان، الذي لا يمكن للمجتمعات المتأخرة أن تغادره وتتطلق إلى غيره، فتراها تتدثر بما كان، ولا يمكنها أن تفكر بآليات يكون وسيكون، لأن في ذلك زعزعة مرعبة لرقدها الخاوية وغيوبتها السكرى بما مضى وما إنقضى.

ولأول مرة في تاريخ مجتمعاتنا نهض الشباب من ركاب العدم والسكون، وحفروا الترع الحضارية المعاصرة اللازمة لجلب مياه الأنهار إلى البرك والمستنقعات العربية، التي تعفنت وما عادت روائحها تُطاق، فراحوا يهتفون " الشعب يريد " .

وبهذا إستحضروا أهم مفردتين في مسيرة الصيرورة والتقدم، وتمكنوا من الربط ما بين الإرادة والتغيير، وهذا يعني أنهم إستطاعوا وضع المجتمع في مساره الصحيح، بعد أن تاه في صحارى اليأس والخيبات والخسران الأبيد.

إن التغيير طاقة التحقق والمحفز الأكبر للبناء والعلاء والتمازج مع عناصر المستقبل وطموحات الأجيال، وبهذا فإنه يسهم في منع صراعا ويدفع لتكاتها وتفاعلها الإيجابي المعطاء.

فتغيروا لكي يتغير العالم من حولكم، وغيروا أفكاركم لكي تحصدون أثمار إرادتكم، وتطلقوا في دروب الغد الواعد السعيد.

### ثالثاً: التغيير والتغيير !!

التغيير ليس سرايا أو خُلما من أحلام اليقظة، وإنما ديناميكية سلوكية تتحقق في النفس أولاً، وتتجسد بالسلوك المترجم للإرادة الفاعلة في أعماق البشر.

فالتغيير الذاتي يحقق التغيير الموضوعي، وما في البشر ينعكس على محيطه، فالواقع مرآة أهليه، ومسللة أفكارهم وتطلعاتهم، ولا يمكن فصل الذات عن الموضوع، أو الفكرة عن الواقع.

ومن يريد التغيير الحقيقي عليه أن يغير نفسه أولاً، ومن يريد التغيير فإنه يُخادع نفسه ويسخر من ذاته، ولا يقدم شيئاً جديداً، وإنما مزيفاً ومتصلاً بما فيه وما ينتمي إليه ويتحقق بربوع أعماقه، والذي يمضي على نهج يجني منه حوافز ومعززات لا يمكنه أن يغادره إلى مسار آخر يزدحم بالمضادات والمحبطات والتحديات.

والذين يتأملون خيراً من إناء لم يتغير ما فيه، يعيشون في وهم ويُخادعون أنفسهم وينكرون بديهيات ومسلمت سلوكية متعارف عليها، وتتحكم بما يفعله البشر.

ومن الصعب أن تجد بشراً يتمكن من الإنتصار على نفسه والتعبير عن مفاهيم تتعارض مع ما نشأ عليه وتربي في ظلاله، ووصل إلى ما وصل إليه بسببه، ولم ينجز ذلك إلا ذوي العزم والإرادات الإصلاحية الخالدة المنيرة في التاريخ.

ولهذا فإن العجب والإستغراب يحيط الذين يتحدثون عن فشل فلان وفلان وعجزه عن القيام بما يجب أن يقوم به، وأن يقاتل الفساد الذي أوجده والحزب الذي أهله، والأفكار التي تورط فيها معظم حياته، وأمن بها بإنفعالية مطلقة ووهمية فائقة لا تقبل المواجهة والزعزعة.

ومن حقائق الفئات والأحزاب أنها تلد رموزها ذات الأوهام العقائدية الراسخة، التي لا يمكنها أن تقبل التعارض والتنازع أو الخضوع للدليل والبرهان، وإنما تكون ذات مؤهلات عاطفية عالية الدرجة والغليان تحرق من يقرب إليها أو بأيتها ببيان ومسلمة ذات عيان.

فالعالم المتقدم يدين بعقيدة التغيير، والعالم المتأخر يدين بعقيدة السكون، وإنعدام الشعور بالزمن والحركة

الظاهرة "الموميائية" قد أسهمت بتحقيق الإنقطاع الحضاري الأليم الذي عصفه بالمؤخرين عن ركب الحياة المعاصرة.

كل شيء يتغير، وإن لم يتغير فإنه يفرض ويغادر الزمن، ويسكن رفوف الذكريات ويصبح في عالم كان

فتغيروا لكي يتغير العالم من حولكم، وغيروا أفكاركم لكي تحصدون أثمار إرادتكم، وتطلقوا في دروب الغد الواعد السعيد.

التغيير ليس سرايا أو خُلما من أحلام اليقظة، وإنما ديناميكية سلوكية تتحقق في النفس أولاً، وتتجسد بالسلوك المترجم للإرادة الفاعلة في أعماق البشر.

الذين يتأملون خيراً من إناء لم يتغير ما فيه، يعيشون في وهم ويُخادعون أنفسهم

وينكرون بديهيات ومسلمة  
سلوكية متعارفة عليها ,  
وتتحكم بما يفعله البشر

ومن يحسب أنه يمتلك الحقيقة وحسب , وغيره مرجوم بالضلال والبهتان , سيفعل ما يعبر عما يحتويه  
من رؤى الشعور بالأناية والقوة والقدرة على التحكم بمصير الآخرين , الذين وفقا لتصوراته يستهدفون  
عرشه وكرسيه وما يمت بصلة إليه.

ولهذا فإن التغيير الذي يتردد في آفاق الصفحات ووسائل الإعلام , يبدو وكأنه الهذيان , أو حث  
للتراب في العيون , والمساهمة في زيادة الإغبار وإشاعة الآمال الكاذبة والتفاعلات الغائبة عن الواقع  
المعاش , ووسيلة لتخدير الناس , وحققهم بأفيون الإمتهان اللذيذ.

فما هي مرتكزات التغيير , وما هي المنطلقات العلمية والعملية اللازمة لإنجازه , وماذا نريد أن نغير  
وكيف نغير , وباي الوسائل , وماذا نريد أن نحقق من التغيير وما هي مستوياته , وعوامله وعناصره  
ومفرداته , ومن الذي يقوم به , وكيف نبدأ التغيير؟؟؟

تساؤلات يجب البحث للوصول إلى أجوبتها قبل التوهم بأن التغيير مجرد كلمات وتظاهرات  
وتصريحات , وتنقلات ومخادعات وآليات ترسيخ لما هو قائم بأساليب أخرى تؤس إلى ذات النتيجة!!

من يحسب أنه يمتلك الحقيقة  
وحسب , وغيره مرجوم بالضلال  
والبهتان , سيفعل ما يعبر عما  
يحتويه من رؤى الشعور  
بالأناية والقوة والقدرة على  
التحكم بمصير الآخرين

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa248-090919.pdf>

\*\*\* \*\*

## مؤسسة العلوم النفسية العربية

جانزة " قتيبة شلبي " لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2019

تتشرفه شبكة العلوم النفسية العربية بإطلاق اسم:

" البروفيسور قتيبة شلبي "

( الطب النفسي، العراق / أمريكا )

على جائزتها للعام 2019 المنصبة للأعمال العلمية في الطب النفسي

تقديرا لمسيرته العلمية المميزة

واعترافا لما قدمه من خدمات جليلة للطب النفسي الشرعي على المستوى العالمي

دعوة لتقديم الترشيحات للجائزة

الترشح للجائزة من بداية من 01 جانفي 2019 الى 30 نوفمبر 2019

شروط الترشح

[www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2019/APNprize2019.pdf](http://www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2019/APNprize2019.pdf)

\*\*\* \*\*



# شبكة علوم النفس العربية

## نحو لياقة نفسانية أفضل

### مؤسسة العلوم النفسية العربية معا ... نذهب أبعد